

التشبيه في القرآن: دراسة التفسير للراغب الأصفهاني
 (Metaphor in the Quran: A Study of *Qur'ānic* Exegesis by
Rāghib al-Isfahānī)

Bushra Tayyibah Malik

Doctoral Candidate Department of Arabic, BZU, Multan

Muhammad Ibrahim

Doctoral Candidate Department of Arabic, BZU, Multan

Professor Dr. Hafz Abdul Rahim

Dean Faculty of Islamic Studies and Languages, BZU, Multan

Abstract

This paper studies the use of Metaphor in the Quran in light of the commentary of the Quran by *Rāghib al-Isfahānī* (d. 502 AH), a renowned expert of *Qur'ānic* exegesis and writer of the most celebrated dictionary of *Qur'ānic* terms titled "*al-Mufradāt fī Gharīb al-Quran*". A metaphor is a figure of speech that is used to make a comparison between two things that aren't alike but do have something in common unlike a simile, where two things are compared directly using like or as a metaphor's comparison is more indirect, usually made by stating something is something else. This study mentions various analogies from the *Qur'ānic* exegesis by *al-Isfahānī*.

Keywords: Metaphor, Quran, Tafsīr, *Rāghib al-Isfahānī*

مقدمة

التشبيه لغة: التمثيل، - قال: هذا شبه هذا: ومثيله- التشبيه اصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين، أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصد المتكلم للعلم. أركان التشبيه: أركان التشبيه أربعة. المُشَبَّه: هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره والمُشَبِّه به: هو الأمر الذي يلحق به المشبه ووجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به، أقوى منه في المشبه - وقد يُذكر وجه الشبه في



الكلام، وقد يُحذف كما سيأتي توضيحه¹ أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدلُّ على التشبيه، ويربط المشبَّه بالمشبَّه به، وقد تذكَّر الأداة في التشبيه، وقد تحذف، نحو: كان عمرُ في رعيَّته كالميزان في العدل، وكان فهم كالوالد في الرحمة والعطف. أدوات التشبيه: هي ألفاظ تدلُّ على المماثلة، كالكاف، وكأنَّ ومثْل، وشبهه، وغيرها، مما يؤدي معنى التشبيه: يحكى، ويضاهي ويضارع، ويمائل، ويساوي، ويشابه، وكذا أسماء فاعلها، فأدوات التشبيه بعضها: اسم، وبعضها فعلٌ، وبعضها حرف وهي إما ملفوظة، وإما ملحوظة، نحو فاروق كالبدر، وأخلاقه في الرقة النسيم ونحو: اندفع الجيش اندفاع السيل، أي كاندفاعه، والأصل في الكاف، ومثْل، وشبهه، من الأسماء المضافة لما بعدها أن يليها المشبه به لفظاً أو تقديرًا. والأصل في كأنَّ، وشابهه، ومائل، وما يُرادفها، أن يليها المُشَبَّه-² ينقسم التشبيه باعتبار أدواته إلى: (أ) التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة، كقول الشاعر: إنما الدنيا كبيتٍ نسجته من عنكبوت- نجد في هذا البيت من أدوات التشبيه (الكاف) قد ذكر الشاعر في لفظ (كبيت). شبه الدنيا بيت نسجة من عنكبوت. (ب) التشبيه المؤكد: وهو ما حُذفت منه أدواته، نحو: يسجع سجج القمري - وكقول الشاعر: أنت نجم في رفعة وضياءٍ تجتليك العيون شرقاً وغرباً- ومن المؤكد: ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، كقول الشاعر: والريح تعبت بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء أي أصيل كالذهب على ماء كاللجين-³ والمؤكد أوجز، وأبلغ، وأشدَّ وقعاً في النفس، أما أنه أوجز فلحذف أدواته، وأما أنه أبلغ فلا يهامه أن المشبه عين المشبه به. (ج) التشبيه البليغ: ما بلغ درجة القبول لحسنه، أو الطيب الحسن فكما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إداراكه إلى أعمال الفكر كان ذلك أفعال في النفس: وأدعى إلى تأثرها واهتزازها، لما هو مركز في الطبع، من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومُعانة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وموقعه في النفس أجلاً وألطف، وكانت به أضنَّ وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعاني، بالجواهر في الصدف، لا يبرز إلا أن تشقُّه عينه، وبالحبيب المتحجَّب لا يُريك وجهه، حتى تستأذن وسبب هذه التسمية: أن ذكر (الطرفين) فقط، يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلها، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه والتشبيه البليغ - هو ما حُذفت فيه أداة التشبيه، ووجه الشبه، نحو فاقضو ما راكم عجلاً إنَّما أعماركم سفرٌ من الأسفار- ونحو: عزماتهم قضبٌ وفيض أكفهم سُحُبٌ وبيضٌ وجوههم أقمار.⁴

¹ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشي، جواهر البلاغة (بيروت: المكتبة العصرية)، 219:1.

² أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشي، جواهر البلاغة (بيروت: المكتبة العصرية)، 236:1؛ أحمد بن مصطفى

المراغي، علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع (بيروت: مكتبة دار التراث العربي)، 232.

³ الأصيل وهو الوقت الذي يقوم بين العصر إلى المغرب - واللجين هو الفضة.

⁴ الهاشي، جواهر البلاغة، 238:1، المراغي، علوم البلاغة، 233.

دراسة التشبيه في تفسير الراغب الأصفهاني

ولمأرينا وقرأنا الكتاب تفسير الراغب الأصفهاني، أديب، من الحكماء العلماء. من أهل أصفهان سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي-من كتبه محاضرات الأدباء، و الذريعة إلى مكارم الشريعة والأخلاق ويسمى أخلاق الراغب وجامع التفاسير كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، والمفردات في غريب القرآن وحل متشابهات القرآن وتحقيق البيان في اللغة والحكمة، وكتاب في الاعتقاد وأفانين البلاغة. وقد توفي في عام 1108م⁵ وقد أخذنا موضوع بحثنا دراسة التشبيه في ضوء تفسير الراغب الأصفهاني، لأن التشبيه له مكانة رفيعة وواسعة في علم البلاغة خاصة في علم البيان.أولا قد كتبنا في هذا البحث التعريف بالمؤلف، ثم التعريف بالبيان، ثم التعريف التشبيه وأركان التشبيه وأدوات التشبيه، وبعد ذلك قد أخذنا التشبيهات القرآنية من تفسير الراغب الأصفهاني-

التشبيه في معنى شعار للثوب

كما في قوله عزوجل: {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}⁶. يقول الراغب الأصفهاني في قوله عزوجل: "{وَمَا يَشْعُرُونَ}" أصل هذا الشعر ومنه الشعار للثوب الذي يلي الجسد، فيقال: أشعرته ثوباً، ثم يقال على التشبيه بذلك أشعرهما، واستشعر سروراً، و " شعرت كذا ": يستعمل على وجهين، تارة يؤخذ من مس الشعر، ويعبر به عن اللمس، وعنه استعمل المشاعر للحواس، فإذا قيل: " فلان لا يشعر " فذلك أبلغ في اللمس من أنه لا يسمع ولا يبصر، لأن حس اللمس أعم من حس السمع والبصر، وتارة يقال: " شعرت كذا ": أي أدركت شيئاً دقيقاً من قولهم: شعرت أي أصبت شعره-⁷ التشبيه في معنى أهل صيب من السماء ومطابقاً للمشبه في اللفظ و التشبيه الملقف كما في قوله عزوجل: {أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ}⁸ - أو كصيب "؟ قيل: قد أجيب عن ذلك بأنه أريد أو كاهل صيب من السماء، وقيل: إن ذلك عطف على المعنى وذلك أن التشبيه تارة يؤتي به مطابقاً للمشبه في اللفظ، وتارة يؤتي به على ما يقتضيه المعنى دون اللفظ وعلى ذلك قوله تعالى: {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ}⁹ ومعناه كحرث قوم ظلموا أنفسهم أصابته ريح، فروع في المعنى دون اللفظ، وعلى ذلك قول الشاعر: فلاينة حطان بن عوف منازل...

⁵ خيرالدين الزركلي، الأعلام (دمشق: دارالعلم للملايين، 2002م)، 2:255-

⁶ البقرة 9:2-

⁷ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الأصفهاني (مصر: جامعة طنطا، 1999م)، 1:98-

⁸ البقرة 19:2-

⁹ آل عمران 117:3-

كما رقىش العنوان في الرق كاتب- وتقديره: كعنوان رقىشه الكاتب، وهذا النوع من التشبيه يقال له: التشبيه الملقف، والآية تأولت على وجهين: أحدهما أنه شبه حال المتحررين الذين اشتروا الضلالة بالهدى بمن حصل في ليلة مطيرة ومظلمة راعدة بارقة يخاف من أهوالها وصاعقتها ويسد أذنه خوفاً من أن يصعق ويكون هذا في شغل الكلام بالمشبه به ووصفه بما يعظم من غير أن يكون في تفاصيل صفة المشبه به ما يرجع إلى المشبه طريقة العرب على ذلك قول لبيد: أفتلك أم وحشية مسبوعة ... خذلت وهادية الصوارقوامها-¹⁰ فشبه الناقة بالوحشية ثم ذكر أنها مسبوعة مخذولة، ولا اختصاص للناقة بهذا الوصف- والثاني: أنه شبه ما أتى الله الإنسان من المعاون التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب الذي فيه حياة كل ذي حياة، وما فيه من المشاق المهمة والعوارض المشكلة بظلمات، وجمع الظلمات تنبيهاً على كثرة العوارض، وشبه ما فيه من الوعيد بالرعد، وما فيه من الآيات الباهرة بالبرق، ثم ذكر كل واحد من هذه الأشياء فقال: إذا سمعوا وعيداً تصاموا عنه كحال من تهوله الرعد فيخاف من صواعقه، فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهذا معنى قوله: {الله محيط بالكافرين}، ثم ذكر أنه إذا رأوا لامعاً لهم إما راشد تدركه بصائرهم وإما رفاً ينفعهم اهتزوا له، فمضوا بنوره وذلك قوله " كلما أضاء لهم مشوا فيه "، ثم بين أنه إن اعترض لهم شبهة أو عن لهم مصيبة تحيروا، فوقفوا، وذلك معنى قوله: {وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ} ¹¹ تنبيهاً على أنهم يصرفون أسماعهم وأبصارهم عما فيه نجاتهم وتأمل ما فيه صلاحهم وإنما جعل الله لهم السمع والأبصار لينفعهم ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي أنفسهم عليها يسدهما وتعطيها، وذلك تنبيه على أنه إنما أعطاهم هذه الآلات لينتفعوا بها.¹²

تشبيه الإنسان بالملائكة وبالبهائم

كما يفسر الراغب الأصفهاني تحت قوله عز وجل: {وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}-¹³ يقول صاحب التفسير: "العلم ههنا بمعنى المعرفة ويتعدى ذلك إلى مفعول واحدة وحقيقة ذلك أن معارفنا ضربان. أحدهما: حصول صور الموجودات في النفس وذلك كالمعرفة بذات الشيء، والثاني: الحكم بوجود شيء لشيء هو موجد له، أو الحكم بنفي شيء عن شيء هو منتف عنه، فالأول: يقال له معرفة وعلم، ويتعدى إلى مفعول واحد، وعلى ذلك قوله: {وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ}، وقوله: {لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}- والثاني: يقال له علم، ولا يقال له معرفة،

¹⁰الأصفهاني، تفسير الأصفهاني، 1:108-

¹¹ البقرة 2:20-

¹² الأصفهاني، تفسير الأصفهاني، 1:109-

¹³ البقرة 2:65-

ويتعدى إلى مفعولين لا يصح الاقتصار فيه على أحدهما من حيث إن ذلك يقتضي إثبات حكم أو نفي حكم لمعلوم، والاعتداء مجاوزة الحق على وجه محذور قال الحسن: كان اعتداؤهم في السبت أخذهم الحيتان على جهة الاستحلال وقيل: حبسهم إياها في الشباك يوم السبت ليأخذوها يوم الأحد، والسبت في الأصل راحة بعد تعب، واستعمل في الشعر إذا حلق لهذا المعنى، وفي الجلد إذا أزيل عنه الشعر تشبيهاً به، وقيل للنعل "سبت"، أي مسبوت نحو نقض، ونكث، والسبات للنوم من ذلك، والسبت قيل جعل اسماً للنوم من ذلك، وخسأت الكلب فخساً، زجرته فانزجر وخساً البصر من ذلك أي انقبض، وقوله {فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} أي جعلناهم، فذكر القول ههنا تنبيهاً على سرعة جعله كذلك نحو قوله: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَعْمَلَهُ مِنْ دُونِكَ أَنْ يَكُونَ كَالْعِجَابِ لِلْآيَاتِ} أي جعلنا له وبين جعله الإنسان قردة وخنازير يحتاج فيه إلى مقدمة وهي أن الإنسان أتم ما أوجده الله تعالى في هذا العالم وأشرف، فإن الأعيان المبصرات بالقول المجمل أربعة، الجماد وهو الجسم غير النامي، ثم النبات وهو الجسم النامي، ثم الحيوان، وهو النامي الحساس، ثم الإنسان وهو الحساس المروي، فلإنسان صورتان، مهما بين ما سواه إحداهما مدركة بالحاسة، وهو الشكل المخصوص، والثانية مدركة بالعقل، وهو ما خص به من قوة الفكر والتمييز والعقل، فالإنسان بهذه القوة يشابه الملائكة ويقوته الشهوية والغضبية يشابه الهائم، فصار واسطة بين القبيلين، وفيه تكمن من التشبيه بالقبيلين، أما تشبيهه بالملائكة، فبإماتامة قوته الشهوية بقدر الطاقة وتربية قوته الفكرية وتعاطيه ما وصف الله به الملائكة في قوله: {لَا يَغْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}، وأما تشبيهه بالهائم، فبإماتاق قوته الفكرية وتربية قوته الغضبية والشهوية وتعاطيه ما وصف الله به الكفار، فقال: {يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ} وقال: {وَأُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ}، فإذا ثبت ذلك، فمن اعتبر الصورة المعقولة قال: هذا مثل ضربه الله لهم كقوله: {كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}، وقوى ذلك بقوله: {وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ} وإليه ذهب مجاهد ومن اعتبر الصورة الشكلية قال: جعلهم على شكل القردة والخنازير.¹⁴

تشبيه الكفار بالناعق في الغنم

كما يفسر صاحب التفسير تحت قوله عز وجل: {وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} ¹⁵ النداء من قولهم: ندى الصوت، أي: غضُّ الصوت، وأصله من الندى، فناداه، أي دعاه بندى صوته، ولما حكى لله عنهم ما زعموا أنهم يتبعون آباءهم دل على جهلهم بأنهم كأغنام ينعق بهم، فلا يعرفون مغزى الصوت ولا قصد المنادي، وقد تقدم الكلام في قوله {صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌّ}، إن قيل: كيف يكون مثلهم مثل الناعق والذين كفروا بالمنعوق به أشبه، والذي

¹⁴ البقرة: 171-

¹⁵ البقرة: 171-

ينعق بالنادي، والداعي أشبه قيل: التشبيه ضربان، تشبيه مفرد بمفرد وحقه أن يحمل أحدهما على الآخر نحو زيد كأسد، وتشبيه جملة بجملة ولا يراعي فيه مقابلة الألفاظ المفردة، فلما شبه قصة الذين كفروا في إعراضهم عن الداعي لهم إلا الحق بقصة الناعق، قدم ذكر الناعق ليبنى عليه ما يكون منه، ومن المنعوق به، وعلى هذا قوله {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ} وقوله: {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ} وقيل: عني بالذين كفروا المتبوعين لا التابعين، ومعناه: مثل الدين كفروا في دعائهم أتباعهم كمثل الناعق بالغنم الذي لا يسمع لها الصوت.¹⁶

تشبيه العرش بالسرير

كما في قوله عزوجل: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا}.¹⁷ والعرش: ما ارتفع من البناء، ويقال ذلك للسقف والسطح، وسي السرير به تشبيهاً، أو عبر به عن أمر الإنسان. وقيل: استوى عرشه، وتل عرشه، والتعريش بناء ذلك وبه شبهه تعريش الكرم، وسي المعررش منه عريشاً، وقيل: عرش الحمار إذا رفع رأسه وجعله كعرش، وعرشان الفرس شعر عرفه تشبيهاً بعريش الكريم.¹⁸

التشبيه المبالغة

كما في قوله عزوجل: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}.¹⁹ قيل لما أراد أن ينبه أن الإنسان لا يُبخس حظه فيما يفعل من خير، ولا يُزاد عليه في جزاء ما يفعل من شر، ذكر نفس الفعل دون الجزاء؛ تنبيهاً له أن فعله مستوفي بالجزاء، حتى كأنه هو، كقولك: زيد هو أبوه بعينه. إذا أريد المبالغة في التشبيه به، وإعادة قوله: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}، توكيد واستظهار عليهم.²⁰ تشبيه النفاق بالحرث كما في قوله تعالى: {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.²¹ الصر: برد يحرق النبات. وقال مجاهد: هو النار. وأصله صوت النار، وكأنه حكى به الصرير والصرصرة. ونحوهما، والآية قيل: نزلت في أبي سفيان وأهل مكة لإنفاقه المال في معاداة النبي - صلى الله عليه وسلم -، لما بين في الآية الأولى أن مالهم لا

¹⁶ الاصفهاني، تفسير الأصفهاني، 1:369.

¹⁷ البقرة 2:259.

¹⁸ الاصفهاني، تفسير الأصفهاني، 1:540.

¹⁹ آل عمران 3:30.

²⁰ الاصفهاني، تفسير الأصفهاني، 2:518.

²¹ آل عمران 3:117.

يعني عنهم، بين أن إنفاق هؤلاء مع كونه غير نافع ضار لهم، وراجع بالوبال عليهم، فمن المفسرين من قال القصد إلى تشبيه ما لهم المنفق بالحرث. المحرق، وكفرهم المهلك بريحذات صير، لكن أخرج التشبيه ملفوفاً لا مكشوفاً، على تحقيق مطابقة لفظ المشبه والمشبه به، وذلك نحو ما تقدم. ومنهم من قال: القصد في ذلك تشبيه أموالهم في إهلاكها إياهم بريح ذات صير في كونها مهلكة لحرث قوم، ثم اختلفوا في هذه النفقة، فمنهم من جعلها لما أنفق هؤلاء وأمثالهم في معاداة المسلمين، ومنهم من جعلها لكل ما ينفقه الكافر، أي شيء أنفقه فإن الكافر معاقب في ذلك كله، كما أن المؤمن مثاب على ما أنفق على أي وجه أنفق، وعلى هذا قال - صلى الله عليه وسلم - لسعد: "إنك لتؤجر في نفقتك كلها، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك" ²²

وصف البروج بالمشيدة على طريق التشبيه

كما في قوله عزوجل: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ} ²³ البروج: بيوت في قصور، وبها شبيه بروج السماء، وسُميت بها. والمشيدة المبنية بالشيء والمزينة بها، ومن قال المشيدة المطولة فنظر منه إلى صفتها لا إلى حقيقة لفظها. وفقحت كذا أي علمته بالتفكير، ومنه سمي الفقه. وقد حمل البروج في الآية على القصور، فيكون معناه كقول الأسود بن يعفر:

ولو كنت في عُمران يحرسُ بابَه أَرَا جِيلَ أَحْبُوشٍ وَأَسْوَدُ أَلْفُ

إِذَا لَأْتَنِي حَيْثُ كُنْتُ مَنِيَّتِي يَخْبُ بِه حَادٍ لِإِثْرِي قَائِفُ

وحمل على بروج السماء، فيكون كقول زهير:

ومن هاب أسباب المنية يلقيها ولو نال أسباب السماء بسلم

فعلى هذا وصف البروج بالمشيدة على طريق التشبيه، ولا اعتبار ذلك فسر بالمطولة، والقصد بذلك إلى نحو ما قيل: والموت ختم في رقاب العباد. ²⁴

التشبيه السارق للخائن

كما يفسر صاحب الراغب الأصفهاني في قوله عزوجل: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ²⁵ السارق: المتناول مال غيره مستتراً، وقد يقال: للخائن سارق على التشبيه. وقول صلى الله عليه وسلم: (أسوأ الناس سرقة، الذي يسرق من صلاته) فعلى

²² الاصفهاني، تفسير الأصفهاني، 2: 817.

²³ النسا 4: 78.

²⁴ الاصفهاني، تفسير الأصفهاني، 3: 1332.

²⁵ المائدة 5: 38.

التشبيه.²⁶ والتشبيه في قوله عز وجل: {إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ²⁷ يذكر الراغب الأصفهاني قولاً: بل العباد يستعمل مع الله فيقال الناس عباد الله، ولا يقال عباد الأمير إلا على التشبيه، والعباد يقال في الله، وفي غيره، ثم الناس كلهم يعبدون الله تسخيماً وقهراً، وإن لم يعبدوه طوعاً، فإنهم إذا عبدوا غيره على أنه المنعم عليهم فهم يعبدون الله لأنه هو المنعم.²⁸

خلاصة البحث

كان الراغب الأصفهاني مفسراً وأديباً، من أهل أصبهان، قد كتب كتب كثيرة منها تفسيره المعروف ، تفسير الراغب الأصفهاني. علم البيان وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة. التشبيه هو عقد مماثلة بين أمرين. وأركان التشبيه أربعة: المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، وأداة التشبيه. ينقسم التشبيه باعتبار أدواته إلى: التشبيه المرسل، والتشبيه المؤكد، والتشبيه البليغ. قد ذكرنا في هذا البحث التشبيهات المختلفة من تفسير الراغب الأصفهاني، مثل: التشبيه في معنى شعار للثوب، كما في قوله عز وجل: {وَمَا يَشْعُرُونَ} أصل هذا الشعر ومنه الشعار للثوب الذي يلي الجسد. والتشبيه الانسان بالملائكة وبالبهائم كما في قوله تعالى: {يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ}. والتشبيه الكفار بالناعق في الغنم، كما في قوله عز وجل: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُنًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} يذكر صاحب التفسير قولاً: النداء من قولهم: ندى الصوت، أي: غضُّ الصوت، وأصله من الندى، فناداه، أي دعاه بندى صوته، ولما حكى لله عنهم ما زعموا أنهم يتبعون أباؤهم دل على جهلهم بأنهم كأغنام يُنعق بهم. وهكذا قد جئت التشبيهات الأخرى.

²⁶ الاصفهاني، تفسير الأصفهاني، 4:341.

²⁷ المائدة 5:118.

²⁸ الاصفهاني، تفسير الأصفهاني، 5:550.